بسم الله الرحمن الرحيم

دور الاقتصاد الإسلامي في حل مشكلات الشباب الاقتصادية في العصر النبوي

د/ كمال توفيق حطاب

أستاذ مشارك

رئيس قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك

2006

ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى بيان وتأصيل منهج الاقتصاد الإسلامي[1] في حل مشكلات الشباب الاقتصادية من خلال التركيز على الآليات والأدوات الاقتصادية التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم في عصره ، والتي يمكن أن تصلح لمعالجة المشكلات في كل العصور .

وللوصول إلى هذا الهدف تبدأ الدراسة بعرض الموارد الاقتصادية والمالية في مكة وكيف استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكيف وجه الشباب إلى استخدامها؟ وكيف عمل النبي صلى الله عليه وسلم على اكتشاف وتوجيه واستثمار طاقات الشباب للنهوض بأنفسهم وبالمجتمع؟

وقد خلصت الدراسة إلى وجود منهج نبوي متكامل لحل كل المشكلات التي تواجه المجتمع بشكل عام ، ومشكلات الشباب بشكل خاص ، يقوم هذا المنهج على التحصين القيمي المعنوي أولاً ثم تحفيز الطاقات واستثمارها، بحيث يمكن للشباب في كل عصر الأخذ بهذا المنهج، والانطلاق منه في حياتهم العملية المستقبلية ، كما انطلق الشباب في العصر النبوي .

[1] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

مقدمة :

يتكون الاقتصاد الإسلامي من مجموعة المبادىء والأسس والتعاليم الاقـصادية التـي جاء بها الإسلام في الكتاب والسنة ، وتطبيقات النبي صلى الله عليـه وسـلم لهـذه المبـادئ والتعاليم ، واجتهادات الصحابة والتابعين والعلماء في كل عصر من العصور في هذا المجال.

وفي مجال العناية والاهتمام بالشباب بشكل خاص سوف نجد العديـد مـن المبـادئ والأسس الاقتصادية التي وردت في الكتاب والسنة ، وسوف نجد في تطبيقات النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المبادئ والأصول منهجاً عاماً يمكن للأمة الإسلامية أن تأخذ به في كل عصر من العصور للارتقاء بالشباب وأوضاعهم الاقتصادية .

ففي ظل قوله تعالى " إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى " (الكهف ، 13) وأحاديثه صلى الله عليه وسلم التي لا تكاد تحصى والخاصة بالشباب[2] ، نجد أن الإسلام أولى الـشباب عناية خاصة لأنهم عماد الأمة وأمل المستقبل .

وقد كان منهجه صلى الله عليه وسلم في رعاية الشباب يقوم على اكتـشاف مـواهبهم وميولهم وطاقاتهم وتوظيفها في خدمة الإسلام والمسلمين بما ينفعهم وينفع الناس جميعاً .

ولقد نمّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه هـذه الميـول والطاقـات والقدرات، حتى جعل منهم علماء وقادة وأمراء ، تمكنوا من فتح العالم شرقاً وغرباً ، ونـشر الإسلام في كل ربوعه ، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهداية والإيمان ، في فترة قياسية جداً .

وقد كانت الخطوات الأولى - بعد نزول الآيات القرآنية ، وتثبيت الإيمان في القلـوب - خطوات اقتصادية تمثلت بتحرير الرقيق ورفع الظلم عنهم ، ومساعدة المحتـاجين ، وقـد كانت أموال خديجة وأموال أبي بكر رضي الله عنهما بمنزلة أول بيت مال للمسلمين .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق كل ما يأتيه من أموال ويوظف هـذه الأمـوال لمـصلحة المسلمين .

ومن جهة أخرى فقد جعلت الزكاة من أركان الإسلام الخمسة التي لا يكتمـل إسـلام المرء إلا بها ، وكان للزكاة وغيرها من الفروض المالية الشرعية ، الأثر الكبير في اجتثـاث البطالة والفقر، وفي تحقيق الرفاه والتكافل، حتى غدا المجتمع المسلم كالجسد الواحد حقيقـة لا خيالاً .

وتفترض هذه الدراسة أن الاقتصاد الإسلامي بأصـوله الربانيـة وأدواتـه الوقائيـة والعلاجية هو المفتاح أو البداية لنشر الإسلام وتعميقه في النفوس وتطبيقه في الواقع وبالتـالي

---

[2] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

حل كل المشكلات التي تواجه البشر، فالإسلام دين معاملة وليس تعاليم نظرية أو طقوساً كهنوتية, وإنما هو تشريع وعمل ، ولذلك فإن الاقتصاد الإسلامي من أهم مفردات المنهج الإسلامي في حل كل المشكلات ، خاصة مشكلات الشباب الاقتصادية .

كما تفترض الدراسة أن الشباب هم أساس نهضة المجتمع وتقدمه، خاصة إذا ما استثمرت طاقاتهم وتم توجيهها بشكل صحيح ، ولذلك فقد ركز النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الجانب ، وعرف كيف يستثمر طاقات الشباب ويوظف الإمكانات والموارد الاقتصادية في خدمتهم بما يولد فيهم الإبداع والابتكار ، ويصنع منهم جيلاً قرآنياً فريداً .

ولإثبات هذه الفرضيات يحاول البحث استقصاء الإصلاحات الاقتصادية التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المجتمع الجاهلي ، وقبل ذلك يحاول التعرف على خريطة الموارد الاقتصادية في جزيرة العرب، يلي ذلك بحث الدور العظيم الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم في استخدام وتطوير هذه الموارد الاقتصادية بما يزيد من الطيبات ويرتقي بالصالح، وكذلك دوره صلى الله عليه وسلم في ترجمة التشريعات الاقتصادية الإسلامية إلى واقع عملي يسهم في معالجة كل المشكلات التي يعاني منها المجتمع ، ومن ثم توضيح دوره صلى الله عليه وسلم في اكتشاف وتوليد واستثمار طاقات ومواهب وإمكانات الشباب بما يدفع عجلة الاقتصاد ويزيد من التقدم والرفاهية للمجتمع .

وبناء على ذلك ، سوف تشتمل هذه الدراسة على المباحث التالية :

المبحث الأول : الموارد الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام
المبحث الثاني : الموارد الاقتصادية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
المبحث الثالث : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إعداد الشباب

المبحث الأول : الموارد الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام :

كانت الموارد الاقتصادية[3] عند العرب قبل الإسلام بسيطة جداً ، فالجزيرة العربية تتشكل من صحراء قاحلة ، ذات موارد ضحلة للغاية ، ولذلك فقد كان الاقتصاد يتشكل من منتجات الصحراء ، من تمور ونخيل وبعض المحاصيل التي تنتجها الطائف وبعض المناطق المعتدلة، ولعل من أهم السلع الإستراتيجية التي كانت تحقق لهم ربحاً طائلاً ومكاسب ضخمة الغنائم والرقيق بشكل خاص .. والذي كان يتحقق لهم بسبب الغزوات والحروب .. والاستغلال والظلم ، واستعباد القوي للضعيف .

[3] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

إضافة إلى ما تقدم انتشرت العصبية القبلية وقطع الطريق والمكوس والإتاوات ، كما انتشرت أخلاقيات وسلوكيات اقتصادية تقوم على الظلم والاستغلال كالربا والقمار .. الخ . وفي هذا المبحث نحاول تسليط الضوء على واقع الموارد الاقتصادية الذي كانت عليه مكة وجزيرة العرب قبل الإسلام ، وذلك من أجل إبراز دور الاقتصاد الإسلامي في المبحثين الثاني والثالث ، وسوف يشتمل هذا المبحث على النقاط التالية :

أولا :التجارة :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم في مجتمع تجاري ، فقد كان أهل مكة تجاراً ، وكانوا أكثر أهل الجزيرة العربية ثراء ، وقد كانت قريش خاصة من أكثر القبائل العربية تجارة وثراء ، ولذلك ورد ذكر تجارتها في القرآن الكريم ، قال تعالى " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " (قريش،1-4) .

فقد كان لقريش رحلتان هامتان ، رحلة في الصيف إلى الشام ورحلة في الشتاء إلى اليمن يصدرون فيها الجلود والعطور والتمور ويستوردون الزيوت والتوابل وغيرها .. ، وكانوا يحققون فائضاً كبيراً من الذهب والفضة بسبب هذه الرحلات التجارية، وكان هذا الفائض يتكون من الدنانير الذهبية الرومية والدراهم الفضية الفارسية [4]، وقد تعامل أهل مكة بكل أشكال النقود الذهبية والفضية التي كانت سائدة في ذلك العصر. فتعاملوا بالدنانير الذهبية الرومية والدراهم الفضية الفارسية ودراهم الفرس البغلية، وكانوا لا يتبايعون بها إلا على أنها تبر[(5)].

وقد اشتهرت قبيلة قريش بشكل خاص في تجارتها مع الشام واليمن والعراق ، وكان أهل مكة يعقدون المعاهدات ويدفعون الإتاوات لحماية قوافلهم على الطرق التجارية الطويلة..[(6)]

ولعل من أهم التجارات التي اشتهرت في ذلك الوقت تجارة الخمر ، حتى كانت التجارة إذا أطلقت يفهم منها تجارة الخمر ، وكانت حوانيت الخمارين مفتوحة دائماً، تعج بالمخمورين في كل حين ، وقد شغلت الخمر جانباً كبيراً من أشعار العرب في الجاهلية ، وكثرت أسماؤها وصفاتها ، وكثر التدقيق والتفصيل فيها كثرة تدعو إلى العجب[(7)] .

---

[4] علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1978 ، 7/289-293

[5] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

[6] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

[7] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

ثانيا :الزراعة :

تشير المصادر التاريخية إلى عدد من المناطق الزراعية الشهيرة في الجزيرة العربية، فبالإضافة إلى اليمن، كانت اليمامة ريف مكة ، وكانت تهامة والطائف ويثرب وعسير من المناطق الزراعية، واشتهرت الطائف بكثرة الفواكه والعسل، في حين عدت يثرب واحة كبيرة مزدهرة، وكذلك عسير اشتهرت بالصمغ..

وقد استخدم العرب الثيران والجمال والحمير والبغال في جر المحراث وفي ضخ الماء بالدلاء من الآبار الكبيرة الواسعة لتسقي المزارع والبساتين والناس ، وقد اشتهرت اليمن ببناء السدود وأنظمة الري المتقدمة .

وكانت اليمن وعُمان وحضرموت واليمامة وتهامة والطائف ويثرب .. من المناطق التي توجه إنتاجها الزراعي إلى السوق ، وقد استورد أهل الطائف أشجاراً مثمرة من بلاد الشام ومن أماكن أخرى وغرسوها في الطائف ، وذلك يدل على اتساع التبادل الزراعي والتجاري .

كما اشتهرت مناطق عديدة في الجزيرة العربية بتربية الثروة الحيوانية وما ينجم عنها من صناعات الألبان ودباغة الجلود .[8]

أما مكة فقد كانت وادياً من غير زرع ، فلم يكن أهلها مزارعين ، وإنما كانوا تجاراً كما تقدم،إضافة إلى دورهم الديني في سدانة الكعبة والسقاية والرفادة .

ثالثا :الصناعة :

ولكثرة الحروب والغزوات انتشرت صناعة الأسلحة وغيرها من مستلزمات الحروب، وكانت السيوف مصدر فخز وثناء كبير ، وكذلك الرماح والدروع ، وسرج الخيل ومستلزماتها، وبالإضافة إلى ذلك اشتهرت مكة بصناعة الفخار من قدور وجفان وأباريق وصناعة الأسرة والأرائك وكذلك صناعات البزازة والخياطة والجزارة والخمارة والنخاسة ومعالجة الخيل والإبل ، والغناء والموسيقى والصياغة والحجامة ، كما اشتهرت الطائف بصناعة الجلود والحدادة ، والصناعات العسكرية ، أما يثرب فقد اشتهرت في الجاهلية بصناعة التحف والأسلحة والدروع، كما اشتهرت بصناعة الخمور[9]، وكانت تصنع من خمسة

---

[8] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

[9] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

أصناف، ورد أن عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير [10]
وقد كان شرب الخمر واسع الشيوع شديد الرسوخ في سلوكيات العرب كما تقدم ، ولذلك كانت تصنع بمهارة وإتقان بالغ ، وبأشكال وألوان متعددة ، جعلت الشعراء يهيمون في وصفها والأجواء المرافقة لمجالسها .

رابعا :الحروب والغزوات .

كانت القبائل العربية تحركها الثارات والنعرات والعصبيات الجاهلية ، فيغير بعضها على بعض, تسفك الدماء وتسبي النساء والأموال، وكانت الغنائم التي يستولون عليها نتيجة الغزوات تشكل مصدراً اقتصادياً هاماً .

وكان الشباب هم عماد كل قبيلة ورمز قوتها وعزتها، بعكس المرأة التي كانت كالمتاع، لا قيمة لها ولا وزن ، فمن أهم المعايير الاقتصادية التي كان يفتخر بها الشباب (حمل السيف، والمشاركة في الغزو) ولذلك لما نزلت الفرائض وجاء فيها حقوق للمرأة وللولد الصغير والأبوين " كرهها الناس أو بعضهم وقالوا تعطى المرأة الربع والثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة؟ اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله ينساه أو نقول له فيغيره " [11]

وهذا يعني أن حمل السيف وتحصيل الغنائم هي أهم المعايير التي كانت الفرائض أو المواريث توزع وفقاً لها ، وقد كانت المرأة محرومة من الميراث ومن كل حقوقها الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، بل إن المرأة كانت تورث كما يورث المتاع أو الدابة ، كما كانت تقتل أو توأد خشية العار والفقر .

المبحث الثاني : الموارد الاقتصادية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على الاستفادة من كل العناصر الإيجابية التي كانت موجودة في الجاهلية ، فأقر كل الفضائل السائدة ، ومدح حلف الفضول الذي تعاهد فيه أهل مكة على نصرة المظلوم ، وقال صلى الله عليه وسلم " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت " يقول القرطبي " وهذا الحلف هو المعنى المراد في قوله عليه السلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا

[10] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .
[11] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

شدة لأنه موافق للشرع إذا أمر بالانتصاف من الظالم, فأما ما كان من عهودهم الفاسدة وعقودهم الباطلة على الظلم والغارات فقد هدمه الإسلام والحمد لله "[12] .

ولقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في ظل هذه الظروف والموارد الاقتصادية، فكيف تعامل صلى الله عليه وسلم مع هذه الأوضاع الاقتصادية ؟ كيف استخدم الموارد الاقتصادية ؟ وكيف عمل على تنميتها والاستفادة منها ؟ ما هي الضوابط الشرعية والمبادئ الاقتصادية الإسلامية الخاصة بالتعامل مع الموارد الاقتصادية بشكل عام ومع الموارد البشرية والشباب بشكل خاص ؟ هذا ما سوف تتم الإجابة عنه في المطلبين التاليين :

المطلب الأول : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في استخدام الموارد الاقتصادية

المطلب الثاني : المبادئ الاقتصادية الإسلامية الخاصة بالموارد الاقتصادية

المطلب الأول : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في استخدام الموارد الاقتصادية

تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع كل الموارد الاقتصادية باعتبارها نعماً تستوجب شكر الله عز وجل ، وكان صلى الله عليه وسلم قدوة عالية في تعامله مع الموارد البشرية والطبيعية وحتى الثروة الحيوانية والمائية ،وفيما يتعلق بأبرز مظاهر الموارد الاقتصادية التي سبق بحثها فقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بما يأتي :

أولا : الحث على التجارة وضبط التعامل الاقتصادي

كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة تاجراً ، وكان هو الأعرف بخفايا ومشاكل التجارة وما يترتب عليها من آثار سلبية على المجتمع ، ولذلك فقد وردت أحاديث كثيرة في ضبط السلوك التجاري والتركيز على أخلاقيات التجارة ، ومن ذلك :

قوله صلى الله عليه وسلم "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"[13]، ووصفه حال التاجر المسلم " سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى" وكذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن الغش والتدليس والاحتيال وكل أشكال الاستغلال ، إضافة إلى قيامه صلى الله عليه وسلم بتحديد ضوابط البيع والشراء والمعاملات .

وكان نهيه صلى الله عليه وسلم المتواصل عن الربا والغرر وكل المعاملات التي يدخلها الغرر، مثل بيوع المنابذة والملامسة والحصاة والمضامين والملاقيح والمصراة وغيرها[14] ، من العوامل التي أدت إلى استقرار الأسواق باستقرار نفوس المتعاملين وتخفيف

---

[12] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

[13] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

[14] خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988، 33-34 .

حدة الظلم والاستغلال في الصفقات التجارية ، وهذا ما زاد من التشغيل وخفف من البطالة وسرع عجلة النشاط الاقتصادي .

بالإضافة إلى ذلك كانت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ضبط التعامل النقدي وضبط أوزان النقود والمكاييل والمقادير الشرعية من العوامل التي ساهمت في إزالة الكثير من الاضطراب الذي كان يغشى الأسواق, إضافة إلى نهيه صلى الله عليه وسلم عن كل أشكال الاحتكار وتلقي الركبان والاكتناز وكل النشاطات الضارة والعقيمة ، وهذا ما ساعد على توجيه البنيان الاقتصادي نحو النشاطات الصالحة والمفيدة للأمة .

إن السلوك التجاري المنضبط بأخلاقيات الإسلام هو الذي نشر الإسلام في معظم المناطق التي وصلها التجار المسلمون في العصور اللاحقة، خاصة دول شرق آسيا.

ثانيا :الحث على الزراعة

وردت فى السنة النبوية أحاديث كثيرة تحث على الزراعة : منها قوله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة "[15]

وقال : إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فليزرعها .. [16] .

وورد فى صحيح البخارى :: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوماً يحدث - وعنده رجل من أهل البادية - أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع ، فقال له ألست فيما شئت قال بلى ، ولكن أحب أن أزرع ، قال فبذر ، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال ، فيقول الله دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي إي والله لاتجده إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم [17].

قال الحبشي في كتاب البركة ففي هذا فوائد منها دلالته على فضل الزرع ، وفيه أن المهاجرين والأنصار كانوا مزارعين وهم أفضل الأمة " [18] .

ومن جهة أخرى وفي سبيل عالم أخضر حاضن للبشرية ، فقد حرص الإسلام على عدم ترك الأراضي الموات معطلة من دون استخدام ، ووجدت نصوص عديدة في الحث على إحياء الأرض الموات ، والموات كما قال في المغني : هي الأرض الخراب الدارسة [19].

---

[15] أخرجه البخارى فى كتاب الحرث والمزارعة ،باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ،عن أنس رضي الله عنه، فتح الباري،مرجع سابق ،3!5 .

[16] أخرجه أحمد في مسنده (للفتح الربانى) ،مرجع سابق ،1.!15 عن أنس بن مالك .

[17] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،027!5 .

[18] الكتانى : التراتيب الإدارية (دار إحياء الترات ، بيروت)

[19] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،027!5 .

والموات عند الشافعي كل مالم يكن عامراً ولا حريماً لعامر فهو موات, وقال أبوحنيفة: الموات مابعد من العامر ولم يبلغه الماء[20]، ودليل شرعية إحياء الموات : ماورد في الصحيح بطرق وروايات عديدة من قوله صلى الله عليه وسلم: من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق[21]، وفي روايات أخرى " من أحيا أرضاً ميتة فهي له " .

ومما لا شك فيه أن الزراعة وإحياء الموات تعتبر من أفضل المجالات أو النشاطات التي يمكن استيعاب وامتصاص البطالة من خلالها ، فإذا ما وجه الشباب نحو هذه النشاطات من خلال برامج متكاملة فإن طاقات الشباب كفيلة بتحقيق الوفورات الاقتصادية والوصول إلى الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الإستراتيجية ، وهذا يعني أن هذه المجالات كفيلة بمعالجة معظم المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الشباب في مختلف الأزمنة والعصور، وفي وقتنا الحاضر بشكل خاص يمكن للشباب أن يحقق المعجزات وما يسمى بالثورة الخضراء من خلال السماح لهم ببرامج إحياء الأرض الموات .. وهذا يعني في النهاية التخفيف عن الحكومات من عبء المديونيات المتزايدة والتي لا يمكن سدادها .

ثالثا : العلوم والتكنولوجيا :

حث الإسلام على الأخذ بكل أسباب القوة ، عملاً بقوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (الأنفال،60) ومن المعلوم في الوقت الحاضر أن التقدم العلمي والتكنولوجي والتصنيع هو من أهم أسباب القوة ، وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم في عصره على التزود بكل أسباب القوة، خاصة في المدينة وبعد أن أذن للمسلمين بالقتال ، وكان صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يكون لديه دائماً عدد من السيوف والدروع والتروس والرماح .. الخ[22] ، كما كانت لديه مختلف أدوات القتال في ذلك الوقت ، وكان يحث أصحابه على القوة، وعلى التجهيز العسكري حين يشتد الخطب على المسلمين .

وقد رأينا الكتائب التي شاركت النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة ، كاملة التجهيز والعتاد بما يلقي في نفوس الأعداء المهابة ، ويحضرهم للهزيمة النفسية قبل العسكرية.

ولا تنحصر القوة في الجانب العسكري فقط بل تتعدى ذلك إلى الجانب العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والسياسي والثقافي وكل المجالات التي تزيد من تقدم الأمة ورخائها.

---

[20] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

[21] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

[22] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

ففي الجانب العلمي رأينا النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على العلم والتعليم ويحث أصحابه على العلم في أحاديث كثيرة متعددة .. ويجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ويظهر حرصه صلى الله عليه وسلم على التعليم من خلال قبوله مفاداة أسرى قريش بتعليم المسلمين القراءة والكتابة ..

وكذلك بحرصه على أن يتعلم المسلمون اللغات الأخرى.. وحرصه على أن يتقن المسلمون كل الفنون والحرف التي يحتاجون إليها في كل عصر وبيئة .

ولا شك أنه بالعلم تبنى الدول والحضارات، وبالعلم تزداد الكفاءة الإنتاجية للشباب، ويزداد التشغيل وتنخفض البطالة وتزداد البلاد نمواً واستقراراً .

رابعاً : إقامة علاقات متزنة مع جميع الأطراف

كان المجتمع الإسلامي في بداية نشأته في المدينة المنورة ، يفتقر إلى كثير من المقومات والإمكانات المادية والاقتصادية ، فالمهاجرون وصلوا إلى المدينة لا يملكون شيئاً من متاع الدنيا وزينتها ، بعد أن تركوا أموالهم وكل ما يملكون فى مكة ، والأنصار(الأوس والخزرج) كانوا قبل إسلامهم يقتتلون فيما بينهم، وهذا ما شغلهم عن الاهتمام بشؤون دنياهم من زراعة وصناعة وتجارة ، ولذلك بقيت الموارد الاقتصادية محدودة وكذلك النشاط الاقتصادي.

ومع ذلك فإن أكثر ما حرص عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعد توحيد الله توحيد الكلمة ووحدة الصف ، ومن أجل ذلك فقد شيد روابط بين المهاجرين والأنصار أقوى من رابطة الدم والنسب من خلال رابطة المؤاخاة ، كما أقام صلى الله عليه وسلم علاقات هادئة متزنة مع جميع الأطراف القاطنة في المدينة .

إن التأمل في وثيقة المؤاخاة وميثاق المدينة والهدنة مع اليهود يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسى دعائم علاقات طبيعية متينة بين المسلمين بكل أصولهم ومنابتهم ، وكذلك بين المسلمين ومن يجاورهم في المدينة من يهود وغيرهم ..

ومن الملاحظ أن من أهم ما تشتمل عليه هذه الوثائق مسألة عدم الاعتداء ، وكيفية معالجة آثار الاعتداء الخاطئ ، وقد ركز النبي صلى الله عليه وسلم على مسألة التعاقل[23] في حالة القتل الخطأ وفي حالة فداء الأسرى .. ولا شك أن هذه المسائل كانت من أكثر الأمور

[23] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

حساسية وقابلية للانفجار وتوليد المشكلات المستعصية ، ولذلك فقد كان وضع هـذه الوثيقـة ومعاهدة الناس على ما فيها هو أشبه بميثاق شرف أو ميثاق وطني أو دستور للأمة .

جاء في وثيقة المؤاخاة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صـلى الله عليه وسلم بين المسلمين والمؤمنين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهـم أمة واحدة دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ثم ذكر لبطون الأنصار بني حارث وبنـي ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني الأوس مثل هذا الشرط ثم قال وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً منهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقـل ولا يحـالف مـؤمن مولى مؤمن دونه إلى أن قال وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم فإن المـؤمنين بعـضهم مولى بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة مظلومين ولا متناصـر عليهم وإن سِلم المؤمنين واحدة إلى أن قال وإن اليهود متفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن ليهود بني عوف ذمة من المؤمنين, لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا مـن ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عـوف وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بنـي عـوف وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود الأوس مثل ما ليهود بني عـوف وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته وإن لحقه بطن من بني ثعلبة مثله وإن لبني الشطبة مثل ما ليهود بني عـوف وإن مـوالي ثعلبـة وجهلة.. [24]

ويتضح من هذه الوثيقة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حاول سد ثغرات النزاع التي يمكن أن تحدث المشكلات ، كما عمل على تحييد اليهود بشكل خاص لمعرفته صلى الله عليـه وسلم بسيرتهم وأدوارهم التاريخية الخبيثة .

المطلب الثاني : أهم المبادئ الاقتصادية الإسلامية الخاصة بالموارد الاقتصادية

جاءت المبادئ والتعاليم الاقتصادية الخاصـة بـالموارد الاقتـصادية فـي المجتمـع الإسلامي الأول تنظم استخدام هذه الموارد بما يحافظ على أصولها ويحقق أقصى منفعة مـن استخدامها ويحفظ حقوق الأجيال القادمة.

ومن أهم هذه المبادئ الاقتصادية :

[24] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

أولاً : شكر النعمة :-

وشكر النعمة يكون باستخدام الموارد فيما خلقت له ، أو وفق ما أمر الله عز وجل ، وعكس ذلك هو كفر للنعمة كما أوضح ذلك الإمام الغزالي في كتابه الشهير إحياء علوم الدين، فاليد خلقها الله لتتناول بها الطيبات ، فإذا تناولت الخبائث فقد كفرت النعمة ، وكذلك الرجل خلقها الله لتحملك إلى كل مكان طيب وتعينك على طاعة الله ، فإذا حملتك إلى أماكن الفجور والمعاصي فقد كفرت النعمة ، وهكذا العين واللسان وسائر الجوارح ، وكذلك الأشياء المادية المحسوسة ، فالدرهم والدينار خلقهما الله لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالقسط، ولغاية أخرى هي التوسل بهما إلى سائر الأشياء ، فإذا اتخذتها في ذاتها هدفاً فقد خرجت عن المقصود ، وهكذا فمن كنزهما فقد كفر النعمة ، وكان كمن يحبس حاكم المسلمين كما يقول الإمام الغزالي وهكذا سائر الأشياء ، عندما تستخدم في غير ما خلقت له ، فإنها تؤدي إلى كفر النعمة ، وما ينجم عن ذلك من فساد وإضرار بالإنسان والبيئة [25] .

ومن جهة أخرى فقد وردت نصوص عديدة تبين فضل الله على الإنسان بما سخر له من بهيمة الأنعام ، ولكن هذا التسخير لا يعني استخدام هذه الحيوانات في غير ما خلقت له ، لأن في ذلك فساداً وإفساداً ، كما أن عمليات الصيد الجائر الذي يؤدي إلى انقراض العديد من أصناف الكائنات الحية ليست مقبولة شرعاً .

فإذا كانت الأحاديث واضحة في النهي عن تعذيب الحيوانات أو تحميلها ما لا تطيق مثل قوله – صلى الله عليه وسلم – " إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم"[26]. وكذلك نهيه – صلى الله عليه وسلم - عن ركوب الأبقار بشكل خاص لأنها لم تخلق للركوب، ففي الحديث " عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال : بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت لم أخلق لهذا ، خلقت للحراثة قال آمنت به أنا وأبو بكر وعمر " [27] .. فعمليات التعدي على الثروة الحيوانية والسمكية ، من خلال الصيد الجائر أو تلويث مياه الأنهار والمحيطات ، أمر يرفضه الإسلام منذ مجيئه ، كما يرفضه العقلاء من البشر الحريصون على استمرار حياتهم على هذه الأرض .

---

[25]- الغزالي ، أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، 1968 ، 92/4

[26] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

[27] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

ثانياً : اتباع منهج القوام :-

قال تعالى " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " (الفرقان ، 67) ، إن منهج القوام الذي وضحه القرآن الكريم هو منهج التوازن والاعتدال ، ولو أن الإنسان سار على هذا المنهج لما عانى من أزمات أو مشكلات ، فمنهج القوام يؤدي إلى التوازن الاقتصادي ، فتتلاشى كل المشكلات الاقتصادية مع تطبيق هذا المنهج .

وفي مجال استخدام المياه بشكل خاص نجد منهج القوام متمثلاً في النهي عن الإسراف في استخدام المياه ، وهذا يعني ضرورة المحافظة على زيادة المخزون الإستراتيجي من الماء، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف ؟ فقال أفي الوضوء إسراف؟ قال نعم وإن كنت على نهر جار [28] فالحديث يحث على أن يكتسب المسلم عادة عدم الإسراف حتى مع وفرة الماء ، لأن هذه العادة تؤدي إلى اتزان ، كما تؤدي إلى المحافظة على الموارد .

إن منهج القوام لو طبق على مستوى المجتمع بالكامل فسوف تختفي أو تتضاءل حدة التفاوت بين الناس ، وسيتضاءل عدد المترفين كما سيتضاءل عدد المحرومين ، وتنخفض أعداد الجائعين والمتخمين على السواء ، وهذا ما حاول النبي صلى الله عليه وسلم عمله في عصره، وحث أصحابه وأمته على اتباعه والالتزام به في كل عصر .

ثالثاً :النهي عن الفساد والسفه :-

نهى الإسلام عن الفساد والإفساد في الأرض ، قال تعالى " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " (البقرة ، 205) وقال تعالى " ولا تعثوا في الأرض مفسدين " (البقرة ، 60) .

إن الفساد يقترن غالباً بالكفر والمعاصي والتمرد على منهج الله ، إذ لا يتصور حدوث الفساد عند الالتزام بشرع الله ومنهجه .

قال تعالى " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " (الروم ، 41) .

فالفساد البيئي هو نتيجة حتمية لفساد الإنسان وفساد عمله وكسبه ، ومرد هذا الفساد لا بد أن يعود عليه ويتجرعه بألم ومرارة ، لأن هذا هو حصاد عمله في الدنيا .

---

[28] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

ولعل من أبرز الإجراءات الوقائية ضد الفساد موضوع الحجر على السفهاء ، قال تعالى " ولا تؤتوا السفهاء أموالكم " (النساء ، 5) .

إن المال في الإسلام هو مال الله ، والإنسان مستخلف فيه ، ويده على ماله يد أمانة وليست يد ملكية مطلقة ، ومن هنا فإن تشريع مبدأ الحجر على السفيه الذي لا يحسن التصرف في المال ، لخلل في عقله أو عدم صلاح في دينه ، له أبعاد متقدمة في المحافظة على البيئة ، فلو أطلق العنان للسفهاء لكي يسرفوا ويبذروا ويرتكبوا المحظورات ويشبعوا الشهوات والنزوات لتحولت المجتمعات البشرية إلى مجتمعات قطيعية تحكمها الشهوة والنزوة .

رابعاً : لا ضرر ولا ضرار [29] :-

وهو حديث شريف عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وقاعدة شرعية هامة توضح أن الإسلام لا يسمح بأي شكل من أشكال الضرر والفساد ، ولو كان الإنسان في ملكه الآمن، فالمسلم ليس له ملك مطلق وإنما أملاكه أمانة بيده ، ومن هنا كانت نظرية عدم التعسف في استعمال الحق في الشريعة الإسلامية متميزة على سائر القوانين الوضعية ، فليس للمسلم أن يستخدم ملكه بما يضر بالآخرين ، فليس له أن يقيم مدبغة مثلاً في أرضه أو يحفر بئراً، بما يلحق الضرر بالناس .

خامساً :الحث على اجتناب الخبائث والمحرمات :

حرص الإسلام على اجتناب الخبائث واجتثاثها واستئصالها من المجتمع ، خبائث الطعام والشراب ، وخبائث السلوكيات والشهوات ، قال تعالى " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم " (المائدة ،3) وقال تعالى " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " (المائدة ، 90) .

ومن الثابت علمياً وصحياً أن هذه المحرمات هي مصدر للأمراض والأوبئة ،وهي أساس المشكلات الصحية والاقتصادية ، فتحريمها هو الطريق الأول لصيانة المجتمع من آثارها وأخطارها .

ومن جهة أخرى فقد حث الإسلام على التزام سلوكيات خاصة في الطعام والشراب بما يحفظ للإنسان صحته ، وبما يحافظ على الموارد ، مثل الاجتماع على الطعام لما فيه من

[29] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

بركة ، وعدم الإسراف في الطعام ، وتجنب إلقاء بقايا الطعام في القمامة وغيرها من الآداب الإسلامية التي تحافظ على نظافة الإنسان وبيئته ..

المبحث الثالث : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إعداد الشباب :

عاش المسلمون فى المدينة إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم في ظل ظروف قاسية، راضين بما قسم الله لهم ، مؤثرين ماعند الله من الثواب ، على ما فى هذه الدنيا من المتاع الزائل .

وكانت المدينة تتعرض إلى فترات من القحط والجدب[30] بين الحين والآخر، كما تعرضت إلى هجرات بشرية من المهاجرين والمسلمين الجدد والذين قدموا للعيش إلى جوار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الكثيرون منهم لا يملكون شيئاً، فكيف واجه الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأوضاع والظروف الاقتصادية؟ وكيف أدار الأزمات الاقتصادية التي حدثت في عهده ؟ وكيف استطاع أن يستفيد من هذه الأزمات في تربية أصحابه على الصبر والتحمل والخشونة والإيثار والتضحية والتكافل والتراحم ..؟ وكيف عمل على تجهيز وإعداد الشباب لحمل المهام العظيمة ؟ وكيف هيأهم لكي يواصلوا المسيرة من بعده؟ كيف عمل على اكتشاف مواهبهم واستثمار طاقاتهم؟ هذا ما سوف نجده في المطلبين التاليين :

المطلب الأول : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في توليد الطاقات

المطلب الثاني : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في استثمار الطاقات

المطلب الأول : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في توليد الطاقات

عمل النبي صلى الله عليه وسلم على اكتشاف المواهب وخلق الإمكانات وتوليد الطاقات الشبابية لدى كل من عاصره أو عايشه صلى الله عليه وسلم ، فكيف قام بذلك ؟ يمكن التعرف على الإجابة من خلال النقاط التالية :

أولاً : القدوة العليا [31]:

صنع الرسول صلى الله عليه وسلم من نفسه نموذجاً ، قل أن يرقى إليه أحد من البشر، ليكون قدوة ومثالاً حياً لأمته " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة " (الاحزاب، 21) فقد كان صلى الله عليه وسلم خير قدوة للمسلمين فى كل الأمور .

---

[30] ابن هشام : !السيرة النبوية ،تحقيق عمر عبد السلام ، (د ار الكتاب العربى ،بيروت ،1987 م) 155/4

[31] حوى ، سعيد : الرسول ، دار العلوم ، بيروت ، 1970، ص 141

وفى مواجهة حظ النفس والتجرد عن مطالب الدنيا وزخرفها ، بلغت قدرته على الصبر والاحتمال حداً يصعب وصول البشر إليه ، وقد وردت روايات كثيرة تبين ذلك :

أخرج البخاري فى صحيحه عن عائشة: قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدموا المدينة ثلاثة أيام تباعاً عن خبز بر حتى مضى لسبيله [32].

كما ورد عن عائشة : أنها قالت : إنا كنا آل محمد ليمر بنا الهلال ما نوقد ناراً ، إنما هو الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان حولنا أهل دور من الأنصار يبعثون إلى رسول الله بلبن منائحهم فيشرب ويسقينا من ذلك اللبن[33].

وفى قصة أبي الهيثم بن التيهان: أن أبا بكر وعمر خرجا من الجوع، فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله، فقال: ما أخرجكما؟ فقالا الجوع. فقال: والذي نفسى بيده لقد أخرجنى الذي أخرجكما[34]

وأخرج الامام مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك قال: رأى أبوطلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً فى المسجد يتقلب ظهرا لبطن ، فأتى أم سليم فقال إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً فى المسجد يتقلب ظهراً لبطن وأظنه جائعاً وساق الحديث [35].

كان هذا حاله صلى الله عليه وسلم في معظم أيام حياته ، خاصة في حالات العسرة والجدب ، ولا يعني ذلك أنه لم يكن لديه شيء من حطام الدنيا ، فقد كان له الخمس من الغنائم، ومع ذلك كان ينفقه على المسلمين ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ولم يكن يبقي لديه شيئاً من المال ، وإنما كان ينفقه يميناً وشمالاً في الفقراء والمساكين .. وذلك في سعيه لإغناء الناس وسد حاجاتهم ، وقد كان في هذا السلوك قدوة لآل بيته وأصحابه صلى الله عليه وسلم .. فسلكوا نفس السلوك .. فهذه خديجة وفاطمة وعائشة وزينب يضربن أروع الأمثلة في الإنفاق والسخاء وهذا عثمان رضي الله عنه يتبرع بقافلة كاملة ، كما يتبرع بتجهيز جيش المسلمين بكامل العتاد ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف .. وأبو بكر الصديق وغيرهم ، ساروا على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتحولت المشكلات والأزمات إلى ميادين تسابق وتنافس على العطاء والتضحية والتكافل والتراحم والنهوض بالفقراء والمحتاجين .

---

[32] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

[33] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

[34] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

[35] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

عن أنس رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإســـلام شيئاً إلا أعطاه قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قــوم أســلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة, وفي رواية فأتى قومه فقال أي قوم أسلموا فــوالله إن محمداً ليعطي عطاء من لا يخشى الفقر فقال أنس وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الــدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. [36]

إن سلوك النبي صلى الله عليه وسلم الذي انعكس على كل أفــراد المجتمــع ، حــول المجتمع الإسلامي إلى جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له ســائر الأعــضاء بــالحمى والسهر . وبالتالي تداعى سائر أفراد المجتمع لمواجهة المشكلات التي تــواجههم ، وشــاركوا النبي صلى الله عليه وسلم بالرأي والمشورة والدعم في معظم القضايا المصيرية التي واجهت المجتمع المسلم في ذلك الوقت .

ثانياً :الزهد المحمود :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه والأمة أجمعين الزهد بالدنيا وبما فيها من متاع ونعيم ، والزهد معناه أن يكون المال والمتاع والنعيم فى اليد لا فى القلب ، فليس من ترك السعي والكسب بزاهد فى الدنيا لأنه لايملك شيئاً حتى يزهد فيه ، وإنما الزاهد من ملــك الدنيا بيده لا بقلبه ، وهذا هو الزهد المحمود أما الزهد المذموم فهو زهد العاجز الكسول .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن المطالب العالية والدرجات الرفيعــة لا تكون بالمال وحده ، ولاتكون بكثرة الإمكانات والوسائل المادية ، وإنمــا بالإيمــان والتقــوى والعمل والتضحية والعطاء والإيثار والتراحم ، ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم " فــوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم"[37].

ثالثاً : الإنفاق والعطاء

كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أصحابه الزهد فى الدنيا يقتلع من نفوسهم الشح والبخل والحرص والطمع ، وينهاهم عن الإسراف في كل شيء ويحثهم على الانفــاق، ويوسع أبواب الإنفاق ، لكى تسمو نفوسهم وتشرق أرواحهم ، ولايبقى فى المجتمع جــائع أو عار .

---

[36] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

[37] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

وهو في ذلك كله يسعى إلى أن يكون المسلمون كالبنيان المرصوص، وأن يكون المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد .

ومن الأحاديث الواردة فى ذلك : فى صحيح مسلم عن أبى هريرة : ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً[38].

والرسول صلى الله عليه وسلم في حثه على الزهد والانفاق ، لا يدعو إلى أن يتجرد المسلم من أمواله ثم يكون عالة على غيره أو يجلس يسأل الناس ، وإنما يدعو إلى عدم الحرص على المال بحيث يدخل القلب ويكون هو الهدف فى الحياة ، وإنما أن يكون وسيلة تعين على طاعة الله عند القيام بأمور التكليف ،عندئذ يسهل على المرء الإنفاق من ماله .

رابعاً : الاستغفار والرزق :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اللجوء إلى الله في كل الأوقات والظروف ، للاستغفار وطلب الرحمة ، وعلم أصحابه الأذكار في الصباح والمساء ، وفى جميع الأحوال والمناسبات، فطاعة الله عز وجل وشكره الدائم، سبب لنزول الرحمة والبركة ، والغيث والنعم، ومعصيته تعالى والبعد عنه سبب للقحط والنقمة والعقاب .

وقد وردت الآيات القرآنية الكثيرة التي تربط بين الاستغفار والرزق " فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً, يرسل السماء عليكم مدراراً" (نوح 10 - 11)

ولم يكن الاستغفار ذكراً باللسان فحسب مع التشديد على أهمية الذكر ، ولكنه كان منهج حياة يتضمن عدم الإصرار على المعصية أو المجاهرة بها ، وإنكار المجتمع للمعاصي والآثام ، ومداومته على الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله .

المطلب الثاني : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في استثمار الطاقات

عمل النبي صلى الله عليه وسلم بعد تهيئة أصحابه وتحفيزهم وتوليد الطاقات والإمكانات لديهم على الاستفادة من هذه الطاقات باستثمارها في خدمة المجتمع والأمة ، وذلك بالتركيز على النقاط التالية :

[38] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

أولاً : الإعمار والبناء :

في ظل قوله تعالى " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " (هود،61) وقوله تعالى: " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " (الحديد،7) وقوله تعالى " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " (التوبة ،105) وقوله تعالى " الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً " (الملك ،2) ، وقوله تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " (الذاريات،56) .

فإن مهمة الإنسان المسلم في هذه الأرض تبدو واضحة جلية ، تتمثل في العبادة بمعناها الشامل، والتي تشتمل على طاعة الله في الفرائض كالصلاة والصيام .. وكذلك طاعة الله في المعاملات وطاعته في الإعمار والتنمية والقيام بمهمام الخلافة ..الخ

إن استشعار الإنسان المسلم بهذه المعاني يحمله مسؤولية عظيمة تدفعه إلى أن يبحث له عن دور نافع مفيد يتناسب مع هذه المهمات الملقاة على عاتقه وبما يتناسب مع طاقاته وإمكاناته التي استودعه الله إياها .

ثانياً : زيادة القوة والأمانة :

في سعيه صلى الله عليه وسلم للارتقاء والنهوض بالشباب فقد ركز على قيمتين وصفتين أساسيتين لا بد أن يتحلى بهما الشباب ، عملاً بقوله تعالى " إن خير من استأجرت القوي الأمين " (القصص ، 26) وقوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (الأنفال ، 60) فالقوة تعبر عن كل أشكال الطاقة المادية والمعنوية ، العلمية والاقتصادية الخ ، فالتنمية تتحقق حين يأخذ المسلمون بأقصى أسباب القوة في كل المجالات ، بما يحقق لهم الاكتفاء الذاتي في الأساسيات، ويحفظ لهم العزة والكرامة ، وبما يمكنهم من تبليغ الرسالة والشهادة على الناس ، قال تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " (البقرة ، 143) .

وفي ظل قوله تعالى " إن خير من استأجرت القوي الأمين " (القصص ، 26) نجد أن القوة لا بد أن تترافق مع الأمانة والتي تشتمل على الإخلاص والإتقان والإنجاز والقيام بالعمل على أفضل وجه ، فالقوة تؤدي إلى الاستخدام الأكفأ ، حين تكون منضبطة ، والأمانة تؤدي إلى حفظ الحقوق والوفاء بالعقود .

ولذلك كثرت أحاديثه صلى الله عليه وسلم في الحرص على القوة والأمانة ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم " المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير

احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[39]

ثالثاً : تكريم العمل اليدوي والاعتماد على النفس :

حث الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على الرعي والاحتطاب والاحتشاش وكل أشكال العمل الزراعي والتجاري والحرفي وكل عمل نافع مفيد ، ومن أمثلة أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – قوله " ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " .

إن هذا الحديث يحث على ضرورة السعي والعمل من أجل أن يقوم الإنسان بنفسه وبمن يعول ، كما أن فيه من باب المخالفة أن انتظار النفقة والإطعام من الآخرين ليس هو المنهج الصحيح .. وإن كان مقبولاً لمن تعثرت بهم قدراتهم وعجزت قواهم عن إطعام أنفسهم، فإنه ليس مقبولاً ممن هو قادر ويستطيع إطعام نفسه وعياله .

فالأصل أن يسعى كل فرد لتحقيق كفاية نفسه .. ولا ينتظر الآخرين .. ولا ينتظر حتى الدولة .. ومع أن قيام الناس ببعضهم وتكافل المسلمين وتراحمهم وإنفاقهم على بعضهم من الأمور والمبادئ التي يرتكز عليها التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية في الإسلام .. فإن هذا لا يبرر لأحد أن يقعد عن عمل يستطيع القيام به ، ففي ذلك تعطيل للطاقات والإمكانات ، وحرمان المجتمع من النفع والخير الذي يمكن أن يقدمه كل فرد فيه .

ومن جهة أخرى فإن الإنفاق التطوعي في معظم أبوابه مندوب إليه لمن أراد أن يستزيد من الثواب أو يكفر عن خطاياه .. ولذلك فليس هو الباب الذي يحقق للأفراد كفايتهم ، وإنما يجب على كل فرد أن يحقق كفايته .. والكفاية تعني أن يحقق المسلم لنفسه حداً لائقاً يتناسب مع المستوى المعيشي للناس ، يغنيه عن غيره وكذلك من يعول .

وقد فهم بعضهم من الحديث الحث على الاعتماد على النفس ، وليس الاقتصار على العمل اليدوي فقط، ولا يوجد ما يمنع من هذا المعنى، فالعمل اليدوي هو أساس الاعتماد على النفس، وهو أساس كل عمل, فحتى العمل الذهني يحتاج إلى عمل يدوي، وجهد عضلي وحركي .. فالعمل اليدوي هو أساس تحصيل الكسب، وهو المحرك للإنسان في كل عمل .

والدليل على ذلك أن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده، وهو الملك الذي يمتلك من الثروات والكنوز ما يغنيه عن العمل، ولكنه آثر أن يأكل من عمل يده، استثماراً لطاقاته وإمكاناته، وشكرا لله على النعمة، ولكي يعلم غيره، أن الإنسان لا بد له أن يعمل .

---

[39] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

رابعاً : الحث على التخصص وزيادة الكفاءة:

حث الإسلام على استثمار الطاقات الفردية واكتشاف المواهب والانتفاع منها ، بقدر طاقة الإنسان ووسعه ، وفي قوله تعالى " لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها " (الطلاق ، 7) إشارة إلى أن الله عز وجل أعطى لكل إنسان طاقات وملكات ومواهب ، وما عليه إلا أن يستثمرها في تحقيق الخير لنفسه وللناس .

وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكتشف في أصحابه مواهبهم وطاقاتهم ، ويوظفهم وفقاً لذلك ، ففي غزوة الخندق ، اكتشف في سلمان الفارسي خطة الدفاع عن المدينة بحفر الخندق فوظفه لذلك واستفاد المسلمون بخبرته في ذلك ، إلى أن أصبح حاكم المدائن فيما بعد، واكتشف في خالد بن الوليد الخبرة والحنكة العسكرية فوظفه قائداً على جيوش المسلمين، واكتشف في عمر وأبي بكر سداد الرأي والصدق والإخلاص فجعلهما مستشاريه المقربين، واكتشف في بلال حسن الصوت وحسن التدبير فجعله مؤذناً في مسجده صلى الله عليه وسلم إضافة إلى مهمة التدبير والإنفاق، واكتشف في نعيم بن مسعود الدهاء والحيلة - ولم يكن الكفار قد عرفوا بإسلامه - فوظفه للإيقاع بين بني قريظة وكفار قريش، كما عرف في أبي ذر ضعفه ورقة قلبه، فرفض توليته الإمارة ، وهكذا كان في اختياره لكتبة الوحي، وفي إرساله الرسل[40]، وفي تعيينه العمال والولاة ، وفقاً للكفاية والكفاءة ، ولقد نمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه هذه الميول والطاقات والقدرات، حتى جعل منهم علماء وقادة وأمراء، تمكنوا من فتح العالم شرقاً وغرباً، ونشر الإسلام في كل ربوعه، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهداية والإيمان، في فترة قياسية جداً .

ولا يخفى على أحد ما للتخصص وزيادة الكفاءة من مزايا وفوائد في حسن استخدام الموارد، وقد أشار المفكر الإسلامي ابن خلدون إلى أهمية التخصص، واعتبر أنه ضرورة وميزة، فهو ضرورة تستلزمها طبيعة البشر لأن الواحد قاصر عن تحصيل حاجته وحده ، ولذلك كان التعاون ومن ثم تقسيم العمل والتخصص، فتتكون للأفراد الملكات ويكتسب الفرد بتخصصه عقلاً جديداً فيزداد إتقاناً وإنتاجاً. [41]

---

[40] أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص إلى ملك عمان ، وبعث سليط بن عمرو العامري إلى صاحب اليمامة وغيرهم

[41] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

خامساً : الإحصان والحث على الزواج :

إن الزواج يزيد الإنسان استقراراً وحرصاً على عمله وإنتاجيته وكفاءته ، ولذلك كان حثه صلى الله عليه وسلم على الزواج، إضافة إلى أن الزواج يزيد من شعور المرء بتحمل مسؤوليته ومسؤولية عياله ، وهذا ما يدفعه إلى مزيد من البذل والعطاء ، كما أن الزواج يزيد في آمال الإنسان وطموحاته من خلال الذرية المنتظرة ودورها المؤمل مستقبلاً, وهذا ما يدفع الإنسان إلى التخطيط للمستقبل بالبناء والعمل ..

ولذلك كان قوله تعالى " فانكحوا ما طاب لكم من النساء " (النساء ،3) وقوله تعالى " وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم "(النور،32) .

وقوله صلى الله عليه وسلم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء ".

وقد تبين من خلال الدراسات الحديثة أن الأزواج يعملون بنسبة 50% بجد أكثر من العزاب، كما أن أثر الزواج أدى إلى زيادة جهد عمل الرجال إلى النصف . والحكمة من ذلك واضحة، فالرجل المتزوج تحفزه مطالب الأسرة نحو العمل لتوفير أسباب المعيشة للزوجة والأولاد. [42]

خاتمة "

إن المنهج الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم يتعلق بالتحصين القيمي والتعزيز الذاتي وبناء الحوافز والدوافع الداخلية التي تولد في النفس الإنسانية طاقات وإمكانات هائلة ، يمكن استثمارها عند الحاجة إليها، وهذا ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعتمد على أصحابه في البناء والتخطيط وتأسيس الدولة وتوطيد أركانها والذود عن حياضها .

إن من أهم أسباب قوة الأمة النهوض بأبنائها والارتقاء بشبابها ، فبناء الإنسان الصالح القوي، هو أساس انطلاقة التنمية الإسلامية .

إن هذا التحصين وهذه الحوافز الذاتية هي التي ولدت في الناس الدافعية والرغبة والحرص بأن يكون للإنسان المسلم دور هام في حياته، فكل مسلم على ثغرة من ثغر الإسلام،ولذلك فإن عليه واجب القيام بسد هذه الثغرة وتوظيف أقصى طاقاته في خدمة نفسه ومجتمعه.

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مدير مكتب عمل يوزع الأعمال على الناس، ولم يكن مدير مكتب تنمية اجتماعية يوزع الصدقات، ولكنه كان يوجد لدى الجميع الإمكانات

---

[42] أخرجه البخاري فى كتاب الحرث والمزارعة ،فتح الباري المرجع السابق ،5!027 .

والقدرات على العطاء والإنجاز ، كان يوجد لدى الجميع دافع الإنجاز, فلا تكاد تجد فارغاً أو عاطلاً عن العمل ..

لقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم بكامل طاقاته البشرية من أجل المحافظة على الموارد الاقتصادية, فحث على الزراعة والصناعة والتجارة وكل الوسائل والأدوات والأساليب التي تزيد من القوة والتقدم ، كما رسخ المبادئ والتشريعات الربانية للمحافظة على الموارد الاقتصادية بمختلف مكوناتها ومنها الموارد البشرية ، ولذلك تحققت معجزة اقتصادية حضارية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية .

فخلال عقدين من الزمان، تحولت أمة من العدم إلى أغنى أمة في العالم بقيمها وفضائلها ومبادئها وطاقاتها وإمكاناتها وقدراتها التي حولت ظلمات البشرية إلى نور وهداية في كل الأماكن التي وصلها الإسلام والمسلمون في ذلك الوقت .

ن الإسلام يجعل ولي الأمر راعياً لأمته ، يقوم بكل ما يستلزمه دور الراعي من رعاية وعناية وحماية وكفاية .. الخ ، ومن ذلك توظيف الطاقات وتذليل الصعوبات والمشكلات ، وهذا ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون .

لذلك كان حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على التكوين في بداية بعثته ، واستغرقت عملية التكوين والصقل والتهذيب وتوليد الطاقات ثلاثة عشر عاماً ، بحيث تخرج من مدرسته – صلى الله عليه وسلم – جيل قرآني فريد يختلف كلياً عن الأجيال السابقة .

ن هذا الجيل هو الذي واصل المسيرة بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتمكن من فتح العالم شرقاً وغرباً في فترة قياسية ، ونشر الإسلام في كل ربوع الأرض المعروفة في ذلك الوقت .

ن بناء الأجيال هو الطريق الأول للتنمية ، فالسواعد القوية ، والقلوب المضيئة هي التي تنير الطريق للأمة من أجل النهوض والتقدم .

أهم التوصيات :

- القيام بالمزيد من الدراسات والبحوث حول الأدوات والآليات التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم للارتقاء بالشباب من كل الجوانب النفسية والشخصية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والعاطفية .. الخ .
- الرجوع إلى الكتب الخاصة بالصحابة مثل الإصابة في تمييز الصحابة لحصر أعداد الصحابة الذين كانوا دون سن 15 عاماً قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، ثم محاولة استقصاء أحوالهم وأوضاعهم والمشكلات التي كانوا يواجهونها قبل البعثة وبعدها .
- ضرورة الأخذ بأدوات وآليات الاقتصاد الإسلامي التي طبقها النبي صلى الله عليه وسلم في عصره والتي تصلح للتطبيق في كل العصور .

- ضرورة أن تسير الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر على منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إعادة اكتشاف الطاقات وتوليدها وحفزها من جديد ، وذلك من استثمارها بالشكل الصحيح الذي يخدم المجتمع والأمة .
- لا بد من العناية الفائقة بموضوع التحصين القيمي الاقتصادي والخروج من ثقافة العيب وقيم الكسل والعجز والتخلف التي تنتشر في كيان الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر .

أهم المراجع :

1. ابن القيم : زاد المعاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار ، الكويت ، ط16 ، 1988م .
2. ابن دقيق العيد : عمدة الأحكام : دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت .
3. ابن قدامة : المغني والشرح الكبير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1972م .
4. ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربى ،بيروت ،1987 م .
5. أبو داود ،سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، كتاب الجهاد ، باب في الوقوف على الدابة ، دار الفكر ، بيروت ، د ت .
6. الألباني ، ناصر الدين : صحيح ابن ماجة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1986 .
7. البخاري ، محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى البغا ، كتاب الحرث والمزارعة ، باب استعمال البقر للحراثة ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1987 .
8. البلاذري ، أحمد بن يحيى : فتوح البلدان ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، د ت .
9. البنا ، أحمد عبد الرحمن : الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد ، دار الشهاب ، القاهرة ، د ت .
10. جيلدر ، جورج : الأغنياء والفقراء ، ترجمة جمال الدين أحمد ، سجل العرب ،1982 .
11. الحاكم ، محمد بن عبدالله : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 .
12. حوى ، سعيد : الرسول ، دار العلوم ، بيروت ، 1970.
13. خليل ، محسن : الاقتصاد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العربية، بغداد ، 1988.
14. شبير ، محمد عثمان : المعاملات المالية المعاصرة ، دار النفائس ، عمان ، 1996
15. الطبري ، محمد بن جرير : تفسير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، 1405هـ .
16. عبدالله ، محمد حامد ، اقتصاديات الموارد ، جامعة الملك سعود ، الرياض ،1991.
17. علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1978 .
18. الغزالي ، أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، 1968 .
19. القرطبي ، محمد بن أحمد : تفسير القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ، 1372هـ .
20. القزويني ، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الطهارة وسننها ، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
21. الكتاني : التراتيب الإدارية ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت .
22. الماوردي ، علي بن محمد : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م .
23. محمد بن أبي بكر :أحكام أهل الذمة ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1997.
24. مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري : صحيح مسلم ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د ت .